

## تطور اللغة العربية... هل يحتاج إلى منهج؟

## منهج الفصل والوصل كأداة لغوية

سمير أبو زيد

## ١- مقدمة

لا يهدف هذا البحث إلى إثبات ضرورة تطور اللغة العربية، فهذا يفرضه واقع الحال ولا يحتاج إلى إثبات. كذلك لا يهدف البحث إلى تقديم تصورات أو اقتراحات بخصوص الإضافات أو التغييرات التي يلزم إجراؤها من أجل تحقيق التطور المأمول، فهذا عمل متخصص علم اللغة والنحاة. إنما ما يهدف إليه هذا البحث هو إثبات أنه لكي تتطور اللغة العربية بصورة متناغمة ومتسقة يلزم وجود منهج واضح تلتزم به الاقتراحات المختلفة للتطور. كذلك يهدف البحث إلى بيان أن المنهج الملائم هو المزج ما بين المبادئ المعاصرة لعلم اللغويات وبين الأسلوب الذي اتبعه القدماء والذي يضمن المحافظة على اللغة العربية كما هي منطوقة في القرآن الكريم. وهذا المنهج هو ما أسميناه منهج الفصل والوصل، والذي على الرغم من عدم طرحه بشكل نظري في التراث الفكري العربي الإسلامي، إلا أننا نجد مطبقاً بشكل غير مباشر في أهم الأعمال التأسيسية في التراث العربي الإسلامي، كما نجد مطبقاً في أوضح صورة في أعمال الشيخ عبد القاهر الجرجاني. بهذا يمثل هذا البحث نوع من المقدمة المنهجية لأي بحث في تطور اللغة العربية يحقق الشروط الموضحة أعلاه. وهذا يتضمن اعتبار الأعمال المؤسسة للغة العربية في التراث العربي الإسلامي، وعلى رأسها عمل سيويوه المشهور باسم "الكتاب" والمؤسس للنحو العربي عملاً إنسانياً يخضع للمراجعة والتدقيق، وربما التجديد أو إعادة البناء جزئياً. وذلك في ضوء الشرطين المذكورين، وهما الحفاظ على اللغة العربية كما هي منطوقة في القرآن الكريم، والارتكاز على التطورات المعاصرة لعلم اللغويات. ولأن هذين الشرطين يبدوان للوهلة الأولى متناقضين، فإن تحقيق ذلك ليس أمراً سهلاً ولذا فإنه يتطلب تصورات إبداعية جديدة قادرة على تحقيق الاتساق بينهما. وهذا على وجه الخصوص، كما سوف يتضح في سياق البحث، هو وظيفة منهج الفصل والوصل.

والاعتماد على منهج الفصل والوصل، في هذا السياق، هو جزء من برنامج أوسع يهدف لإنهاء الازدواجية القائمة حالياً في كافة مناحي الثقافة العربية المعاصرة. تلك الازدواجية التي تتأرجح ما بين ثقافة الذات القديمة وما بين ثقافة الآخر المعاصر، في غياب لثقافة تعبر عن الذات المعاصرة. فمثلما تتأرجح اللغة العربية المعاصرة ما بين الاعتماد على المصادر التقليدية للنحو وعلوم اللغة العربية وما بين الاعتماد على الإنتاج الغربي لعلم اللغة، تتأرجح أيضاً أنظمتنا القانونية ما بين قواعد الشريعة وبين مبادئ القانون الغربي، وأنظمتنا الاجتماعية ما بين الحدود الأخلاقية والعرفية وبين حقوق الإنسان، وأنظمتنا الاقتصادية بين المبادئ الأخلاقية الإسلامية في الاقتصاد وبين مبادئ الاقتصاد الحر الخالي من القيمة.

وخطة البحث كما يلي. نستعرض اللغويات. فنستعرض بعض الجوانب الهامة في علم اللغويات والمتعلقة بتطور اللغة على العموم، ثم نبين الاختلاف بين علوم اللغة "العربية" التقليدية وبين علم اللغويات. في القسم الرابع

وخطه البحث كما يلي. نستعرض اللغويات. فنستعرض بعض الجوانب الهامة في علم اللغويات والمتعلقة بتطور اللغة على العموم، ثم نبين الاختلاف بين علوم اللغة "العربية" التقليدية وبين علم اللغويات. في القسم الرابع

بيجاز في القسم الثاني من البحث مشكلة تطور اللغة العربية. ثم في القسم الثالث نستعرض إشكالية العلاقة بين اللغة العربية وعلم

نطرح اقتراحنا الأساسي وهو الاعتماد على منهج الفصل والوصل المستخلص من الأعمال التأسيسية في التراث، وعلى وجه الخصوص أعمال الشيخ عبد القاهر الجرجاني. في القسم

هذا المصطلح في وسائل الإعلام على الرغم من ركاكته.

ثانياً، عصرنا الحالي هو عصر العلم، والعلم فيه يتطور بسرعة كبيرة بحيث أنه على كل من المستوى النظري والعملي تظهر ليس فقط منتجات جديدة أو تصورات ونظريات جديدة وإنما أيضاً علوم جديدة بشكل كامل. ونظراً للتطور السريع والواسع للمعرفة العلمية المعاصرة يصبح من اللازم استحداث الألفاظ والتعبيرات والتركيبات اللغوية اللازمة للتعبير عن هذا التطور السريع. فنحن نضطر إلى استخدام نفس اللفظ الغربي بالحروف العربية لغياب مجهوداتنا في "تعريب" هذه المستجدات. ففي الماضي القريب استحدثنا الإسم "حاسوب" للتعبير عن إسم الجهاز الجديد المسمى بالإنجليزية "كومبيوتر"، ولكننا حالياً نستخدم الإسم "ليزر" وهو اختصار للتعبير بالإنجليزية "تركيز الضوء بواسطة الانبعاث الإشعاعي المحفز" بدون تعريب لعدم اعتماد أسلوب نحت كلمة واحدة من مجموعة من الكلمات. ولكن المشكلة أكبر من مشكلة المصطلح، ففي العلم الحديث تظهر باستمرار أدوات لغوية لتسهيل التعبيرات العلمية. فتظهر على سبيل المثال الألفاظ المركبة للتعبير عن المجالات البينية العلمية مثل "Neuro-Linguistics" أي اللغويات العصبية. والبادئة

في حالة نهضة أي انتقال من حالة المجتمعات المتخلفة غير المنظمة إلى حالة المجتمعات المتطورة الناهضة المنظمة. وهذا معناه ظهور أنظمة مجتمعية (سياسية واقتصادية واجتماعية) جديدة بشكل تام ومختلفة عن الأنظمة السابقة. وهذه الأنظمة الجديدة تحتاج إلى وضع مصطلحات واستخدام تراكيب لغوية قادرة على التعبير عنها. ولنأخذ مثالا واحداً، عندما ظهرت فكرة التحول من النظام الاشتراكي المعتمد على الاقتصاد الموجه وملكية الدولة لوسائل الإنتاج إلى النظام الرأسمالي المعتمد على ملكية القطاع الخاص لهذه الوسائل كانت هناك حاجة ماسة لاستحداث مصطلح يعبر عن هذا المعنى المقدر. ونظراً لعدم وجود لفظ في اللغة العربية المعيارية يمكنه التعبير عن هذا المعنى، ظهر في المجتمع المصري تعبير ركيك ولكنه انتشر لغياب مصطلح أفضل منه، وهو التعبير "خصخصة" (وأحياناً خصوصة) بمعنى بيع شركات القطاع العام إلى الشركات الخاصة. وظهور تعبير جديد يستلزم أيضاً ظهور التركيبات اللغوية اللازمة لاستخدامه. فظهرت تركيبات لغوية تعبر عن الجملة الفعلية والإسمية، الخ. لهذا المصطلح. ولأن المجتمع لا يمكنه التوقف عن التفاعل اللغوي انتظارا لآراء المختصين في اللغة العربية استقر

الخامس نبين كيف يمكن تطبيق منهج الفصل والوصل بحيث تنشئ العلاقة الصحيحة بين علم اللغويات باعتباره مجالاً علمياً عاماً وبين اللغة العربية باعتبار خصوصية ارتباطها بالقرآن الكريم.

## ٢. مشكلة تطور اللغة العربية

اللغة هي نتاج الفكر الإنساني، لذا فكما أن الإنسان يتطور فإن اللغة أيضاً تتطور. ولأن اللغة العربية هي إحدى اللغات الإنسانية فإنها تتطور مثلها مثل اللغات الأخرى، وتطورها هو كذلك مرهون بالحفاظ على كفاءتها وقدرتها على التكيف مع المتغيرات. غير أن اللغة العربية لها خصوصية معينة، هي ارتباطها بالقرآن الكريم باعتباره المرجع الرئيس للغة العربية. في ظل هذه الخصوصية التي تتميز بها، يثور سؤال أساسي، ما هو مفهومنا للكفاءة والقدرة على التكيف مع المتغيرات الذي بموجبه يجب أن تتطور اللغة العربية؟ وإذا كان التغير ضروري لتحقيق التطور فالى أي مدى وفي أي إطار يلزم أن تتغير هذه اللغة.

## أ- تحديات الواقع (التطور

### المجتمعي - تطور العلوم -

#### (العولة)

إذا كان تطور اللغة مرتبط بتطور الواقع الذي تستخدم اللغة للتعبير عنه فإنه يمكن القول بأن تطور اللغة العربية في مجتمعاتنا المعاصرة يرتبط بشكل أساسي بثلاثة جوانب. أولاً، المجتمعات العربية المعاصرة هي